قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الجاحظ والكتاب (التحقق من نسبة الكتاب إلى سيبويه)

Al-Jahiz and the Book (Verifying the attribution of the book to Sibawayh)

أ. د سهى سعدون جاسم*

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

Keywords:

The Book – Al-Jahiz – Sibawayh

Abstract

The book attributed to Sibawayh is the first book that compiles many of the principles of grammar and morphology. No book before it has reached us that has compiled this material in such a comprehensive way. People used to call it, due to the importance of this book, "the Qur'an of Grammar." It is also mentioned that one of the grammarians of Andalusia used to finish reading the book every fifteen days as if he were reciting it like the Qur'an.People have differed in attributing (the book) to its true author. This research deals with the issue of confirming the attribution of (the book) to Sibawayh by knowing Al-Jahiz's statements about the book in books of biographies and translations, and Al-Jahiz's own books, since Al-Jahiz witnessed the time of the book's appearance.The research is divided into an introduction and three sections. The introduction provides a brief overview of Sibawayh, while the first section introduces the book.The second section includes a biography of al-Jahiz, and the third section contains al-Jahiz's comments on the book as found in biographical works and his other writings.

* **Prof. Dr. Suha Saadoun Jassim**

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

الكتاب –الجاحظ –سيبويه

الملخص

يعد (الكتاب) المنسوب الى سيبويه أول كتاب يجمع كثيرا من أصول النحو والصرف فلم يصلنا كتابا قبله جمع هذه المادة جمعا وافيا، ولقد سمّاه الناس قديما لأهمية هذا الكتاب بـ (قرآن النحو)، ويذكر كذلك أن أحد نحاة الأندلس كان يختم قراءة (الكتاب) في كل خمسة عشرة يوما كأنه يتلوه تلاوة القرآن. وقد اختلف الناس في نسبة (الكتاب) الى مؤلفه الحقيقي، ويتناول هذا البحث قضية التأكيد من نسبة (الكتاب) الى سيبويه عن طريق معرفة أقوال الجاحظ على الكتاب في كتب السير والتراجم، وكتب الجاحظ نفسها، اذ أن الجاحظ قد شهد زمن ظهور الكتاب . ينقسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، يتناول التمهيد نبذة مختصرة سيبويه، أما المبحث الأول فيتناول التعريف بالكتاب . والمبحث الثاني يتناول ترجمة عن الجاحظ، والمبحث الثالث يتضمن أقوال الجاحظ على الكتاب في كتب السير والتراجم وأقوال الجاحظ على الكتاب المذكورة في مؤلفاته .

١. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

يعد الكتاب المنسوب الى سيبويه أول كتاب يجمع كثيراً من أصول النحو والصرف، فلم يصلنا كتاباً قبله جمع هذه المادة جمعاً وافياً . ولقد سماه الناس قديماً لأهمية هذا الكتاب بـ (قرآن النحو)، ويذكر كذلك أن أحد نحاة الأندلس كان يختم الكتاب في كل خمسة عشر يوماً كأنما يتلو تلاوة القرآن .

وهذا دليل على أهمية الكتاب وما احتواه من موضوعات نحوية وصرفية وأصوات لغوية، وغيرها من الموضوعات الأخرى .

لقد شغل الناس بالكتاب منذ بداية ظهوره، فأخذت الحلقات تعقد لدراسة هذا الكتاب، وكان الناس يقدمونه هدية للأمراء والوزراء، وكثرت الشروح على هذا الكتاب .

وما يزال الكتاب حتى وقتنا هذا المصدر الأول لجميع الدراسات النحوية والصرفية، واللهجات العربية، والقراءات، والأصوات اللغوية .

اختلف الناس في نسبة الكتاب الى مؤلفه الحقيقي، ويتناول هذا البحث قضية التأكد من نسبة الكتاب الى سيبوبه عن طريق معرفة أقوال الجاحظ على الكتاب في كتب السير والتراجم وكتب الجاحظ نفسها، إذ أن الجاحظ قد شهد زمن ظهور الكتاب .

ينقسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، ضمّ التمهيد نبذة مختصرة عن سيبويه أما المبحث الأول

فعرّفنا فيه بالكتاب، والمبحث الثاني ترجمة عن الجاحظ، وتضمن المبحث الثالث أقوال الجاحظ على الكتاب في كتب السير والتراجم وأقوال الجاحظ على الكتاب المذكورة في مؤلفاته .

التمهيد

سيبويه:

هو عمرو بن عثمان بن فنبر، ويكنى أبا بشر، وقيل أبا الحسن، وقيل أبا عثمان، ولكن أثبتها، وأشهرها أبو بشر الملقب بسيبويه مولى لبني الحارث بن كعب بن عمرو ومولى آل الربيع بن زياد الحارثي " (الأنباري: ١٩٥٩، ٣٨)

(سيبويه) كلمة فارسية تتألف من (سيب) بمعنى تفاح و (بوي) بمعنى رائحة التفاح . ويقال أنها تتألف من (سي) بمعنى ثلاثين، و(بوي) بمعنى رائحة، فمعناها مجتمعة ثلاثون رائحة، أي ذو الثلاثين رائحة، أي الكثير العطر أو الساطع العرف (ناصف: ١٩٥٣، ٧٠)

ولم يكن سيبويه النحوي وحده الذي يحمل هذا اللقب، بل يوجد ثلاثة آخرون من النحاة يلقبون بهذا اللقب وهم:

١-محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي أبو بكر، وقيل أبو عمر بن الصيرفي المولود سنة ٢٨٤هـ، وتوفي سنة ٣٥٨هـ بمصر .

٢-محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمود بن سهل أنصر التيمي الأصبهاني عاش في القرن الرابع وتوفي سنة ٣٩٥هـ.

٣-علي بن عبد الله بن ابراهيم الكوفي النحوي المغربي المالكي المعروف بسيبويه، ولد بعد الستمائة وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٧هـ.(سيبويه: ٦/١)

وهو من أصل فارسي، ويختلف الرواة في سبب هذا اللقب، فقيل لأن أمه كانت ترقصه به، وقيل لأن وجنتيه كانتا كالتفاح، وقيل لأن من يلقاه كان لا يزال يشم منه رائحة الطيب، وقيل لأنه كان يعتاد شم رائحة التفاح، وقيل لقب به للطافته. (ناصف: ١٩٥٣، ٧٢) .

ولد في قرية من قرى مدينة شيراز تدعى البيضاء في فارس، ولا نعرف متى كانت سنة ولادته ثم انتقل منها الى البصرة، ونشأ فيها وتلقى علومه.(الحديثي: ١٩٦٥، ٤٤) .

طلب الفقه والحديث على حماد بن سلمة المحدث المشهور الفصيح الذي كان يعنى بالعربية، وكان يقول " من لحن في حديثي فقد كذب عليّ " ويذكر أنه قال حماد يوماً: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " ما من أحد من أصحابي إلا وقد وأخذت عنه ليس أبا الدرداء "، فقال سيبويه " ليس أبو الدرداء " ظاناً أنه اسم ليس، فقال له حماد " لحنت ياسيبويه، ليس هذا

حيث ذهبت أنما (ليس) استثنت " فقال سيبويه سأطلب علماً لا تلحنني فيه أبداً .

وكانت هذه الحادثة هي السبب في انتقال سيبويه الى طلب النحو، فاتصل أولاً بعيسى بن عمر الثقفي وهو صبي فلما مات لزم حلقة الخليل، وبرع في علم النحو

ومن الاساتذة الآخرين الذين كان لهم الفضل في تعليم سيبويه، وبراعته في النحو:

أبو عمرو بن العلاء، يونس بن حبيب البصري، أبو زيد الأنصاري، أبو الخطاب الأخفش الكبير، وغيرهم .(السيرافي، ١٩٦٥، ٣٤) .

توفي سيبويه بعد المناظرة التي جرت بينه وبين الكسائي، ودفن في البيضاء، واختلفت الروايات في سنة وفاته، كما اختلفوا في سنة ولادته، إذ قيل أنه توفي سنة ١٦١ هـ، وقال آخرون أنه توفي سنة ١٧٧هـ، وقيل توفي سنة ١٨٠هـ، وقيل سنة ١٨٨هـ، وقيل سنة ١٩٤هـ .

والراجح أنه توفي سنة ١٨٠هـ (ناصف، ١٩٥٣، ١١٥ – ١١٦).

٢.المبحث الأول: الكتاب

كان المبرد اذا أراد شخص أن يقرأ الكتاب عليه يقول له: هل ركبت البحر ؟ تعظيماً له، واستعظاماً لما فيه .

انتشر الكتاب بين الناس وأخذت مجالس العلم تعقد لدراسته وذاعت شهرته بين أنحاء البلدان وكثرة الشروح عليه لما فيه من المعلومات النحوية والصرفية والصوتية التي لا تزال منبعا لمن يريد دراسة النحو والصرف .(الحديثي: ١٩٦٥، ٦١) .

يخلو الكتاب من مقدمة يشرح فيها المؤلف سبب التأليف أو زمانه أو مصادره التي اعتمد عليها في تأليفه لهذا الكتاب أو أن يبين منهجه في التأليف ومن خاتمة تبين النتائج التي وصل اليها المؤلف من خلال بحثه .(الحديثي: ١٩٨٦، ٦١)

يبدأ الكتاب بقوله " هذا باب علم ما الكلم من العربية " وفيه قسم الكلم على: اسم، فعل، وحرف ثم تكلم على مجاري اواخر الكلم من العربية، وعلامات الاعراب والبناء، والمسند، والمسند اليه، وغيرها من الموضوعات النحوية .

اما الجزء الثاني فقد ذكر في أوله (باب ما ينصرف وما لا ينصرف) ثم تكلم عن النسب، وتثنية الصحيح والمنقوص والممدود، والجمع بالواو والنون، وجمع التكسير، والتصغير الذي يسميه التحقير أحيانا .

وتكلم على اتصال الفعل بنوني التوكيد ثم عاد فتحدث عن جموع التكسير مرة أخرى، وذكر موضوعات تخص الفكر وغيره من المشتقات وأوزانها، وذكر المصادر من الفعل الثلاثي المجرد، والمزيد، والرباعي المجرد والمزيد أيضا .

وفي نهاية هذا الجزء تكلم على الامالة والوقف والتسكين والاشمام والاعلال والأصوات اللغوية .

ومن خلال هذا العرض لأهم موضوعات الكتاب يتبين لنا أن مؤلفه بدأ بموضوعات النحو بصورة عامة وذكر فيها بعض مسائل الصرف، وفي القسم الثاني جمع النسب والتصغير وجوع التكسير وأبنية الأسماء والأفعال، والامالة والوقف، وحروف الزيادة والبدل ".(الحديثي:١٩٦٥، ٦٦)

أما شواهد الكتاب فهي من القران الكريم، وكلام العرب الفصحاء وأشعارهم وأمثالهم وحكمهم، ولم يستشهد مؤلف الكتاب بالحديث النبوي الشريف وذلك لأن بعض الأحاديث نقلت بمعناها لا بلفظها .

ونلاحظ أن الترتيب الذي وضعه مؤلف الكتاب يختلف عما هو موجود في كتب المتأخرين، فهو لا يذكر المرفوعات على حدة، والمنصوبات على حدة، وانما يخلط بعضها بالآخر، فيذكر المسند والمسند اليه، ثم ينتقل الى الفاعل والمفعول به والحال والحروف التي تعمل عمل ليس، والى المبتدأ والخبر، والاستثناء (الحديثي: ١٩٦٥، ٦٤).

أما مصطلحات النحو في الكتاب فلم تكن قد استقرت بعد ولهذا نجد مؤلفه يضع عناوين طويلة للأبواب . وغالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة بالنسبة لنا من ذلك مثلا العنوان الذي ذكره للأحرف المشبهة بالفعل فانه قال: " هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، وهي من الفعل بمنزلة عشرين من الأسماء التي بمنزلة الفعل ولا تصرف تصرف الأفعال كما أن عشرين لا تصرف تصرف الأسماء التي أخذت من الفعل وشبهت بها في هذا الموضع فنصبت درهما لأنه ليس من نعتها ولا هي مضافة اليه، ولم ترد أن تحمل الدرهم على ما حمل عليه العشرون ولكنه واحد بين به العدد فعملت فيه كعمل " الضارب " في " زيد " اذا قلت: " هذا ضارب زيدا "، لأن زيدا ليس من صفة الضارب ولا محمولا على ما حمل عليه الضارب .

وكذلك هذه الحروف منزلتها من الأفعال وهي أنّ، ولكنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ" (سيبيويه: ٢٩/١)

وهذا يدلنا على أن مصطلحات النحو لم تكن قد استقرت في عهد مؤلف الكتاب وأنها بقيت غير محددة حتى جاء النحاة من بعده فضبطوها وحصروها وحددوا معانيها .

ونجد أن مؤلف الكتاب قد خلط باب التعجب باسم التفضيل ولم يفصل أحدهما عن الآخر، مع أن الأول داخل في الأفعال والثاني داخل في الأسماء والأفعال .

هذه نظرة عامة عن الكتاب يتضح لنا من خلالها موضوعات الكتاب ومنهج مؤلفه وشواهده والمصطلحات التي استخدمها .

٣.المبحث الثاني: الجاحظ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ لبروز عينيه من حدقتيهما الواسعتين، ولد في البصرة نحو سنة ١٥٩ هـ وتوفي والده وهو بعد حديث السنّ (الفاخوري: ٥٥٦)

وقيل بل هو كناني ولاء وأن جده فـزارة كـان عبدا أسودا جمّالا لعمرو بن قلع الكناني .

كان الجاحظ يذهب الى بعض الكتاتيب مع أقرانه من الصبيان حيث كان يتعلم فيها القراءة وشـيئا مـن النحو والفقه والحساب ويحفظون بعض القران وبعض الأشعار . ولما شبّ مضى الى المساجد يسـتمع الـى محاضرات العلماء فيها وكانوا يحاضرون في كل فن .

وكان يذهب الى المربد يأخذ عن فصحاء العـرب اللغة وبعض ما ينشدونه من الأشعار حيث كان المربد سوقا تجارية وأدبية كبيـرة منـذ العصـر الأمـوي (ضيف: ٥٨٧)

قال المرزباني: حدّث المادّي، قال: حدثني مـن رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان (وهو أحـد نهيرات البصرة) حيث كانت نشأته بسـيطة، وكـان بحاجة الى أن يكتسب معاشه (الحموي:١٦/٧٤)

ويروى أن أمه ضـاقت بانهماكـه فـي الـدرس والقراءة، فطلب منها يوما طعاما فجاءته بطبق ملـيء بكراريس أودعها البيت، وقالت له: ليس عندي مـن طعام سوى هذه الكراريس، تريد أن تنبهه الى التكسب.

فذهب الى الجامع مغتمّا، ولقيه مويس بن عمـران أحد رفاقه الأثرياء في الدرس، فسأله ما شأنك؟ فحدّثه بحديث أمه، فأخذه الى منزله وأعطاه خمسين دينـارا، فأخذها فرحا، ودخل السوق واشترى الـدقيق وحملـه الحمّالون الى داره، وسألته أمه من أين لك هذا ؟ فقال لها من الكراريس التي قدمتيها اليّ " (ضيف:٥٨٨).

حيث أنه كان شغوفا بالعلم وكثير المطالعة للكتب .

سمع الجاحظ من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيـد الأنصاري وأخذ النحو من الأخفش أبي الحسن، وأخذ الكلام عن النظّام من المعتزلة، وأخذ الفصـاحة مـن العرب شفاها بالمربد، ويقال أنه كان يعرف الفارسـية (كحالة: ١٩٥٩، ٨/٧، الفاخوري، ٥٦٠) .

يعدّ الجاحظ من أكبر أئمة البيان في العربية وأكثر علماء الأمة العربية في التصنيف والتـأليف وحـبّ الكتب، حيث يقول أبو هفان الراوية الأخباري " لم أر قط، ولا سمعت من أحب الكتب والعلـوم أكثـر مـن الجاحظ، فانه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر في الكتب " (العاني: ١٩٦٩، ٢٤٨) .

لقد شغف الجاحظ بالاعتزال ومضى مع أسـاتذته في عصره ليستوعب كل ما كان عندهم ومن أهم مـن لزمهم النظام وكان مشهورا بأنه يمـزج بقـوة بـين الاعتزال والفلسفة، وكان هو الدافع الذي دفع الجاحظ الى أن يعتنق مجموعة من الآراء كوّنت له فرقة سميت بالجاحظية نسبة اليه .

لا نعرف متى بدأ الجاحظ كتاباته ولكنه يبدو أنـه في بداية تأليفه كان يعزو ما يقوم الى كتـاب قـدماء مشهورين من أمثال ابن المقفع أو الخليل أو العتـابي

وعند ذلك يشتهر الكتاب ويروج ثم يأتي الناس لروايته عنه .

وشاعت شهرة الجاحظ وبرزت موهبته الأدبية الفذة ويذكر أن المأمون قلده ديوان الرسائل ولكنه لم يستطع المقام به سوى ثلاثة أيام عاد بعدها الى صناعته من التأليف والكتابة الأدبية وربما كان قبحه هو السبب في تركه لهذه الوظيفة حيث أنه كان مشوه الخلق.(ضيف: ٥٩٠)

وشهد بفضل مصنفاته كثير من العلماء، قال المسعودي: " وكتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورصفها أحسن رصف، وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان اذا تخوّف ملل القارئ وسآمة السامع، خرج من جد الى هزل، ومن حكمة بليغة الى نادرة طريفة، وله كتب حسان منها البيان والتبيين، وهو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وغرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به، وكتاب الطفيليين، والبخلاء، وسائر كتبه في نهاية الكمال، مما لم يقصد منها الى نصب ولا الى دفع حق، ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه " (المسعودي:١٩٦٥، ١٩٥/٤).

وسجّل الجاحظ اعجابه واعجاب عصره بحديث الأعراب حيث يقول: " ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقديما للبيان من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء " (حجازي: ٢٤٥).

اتصل الجاحظ بابن الزيات وزير المعتصم وتتوثق الصلة بينهما، وهذه الصلة جعلته يقف في صفه ضد خصمه أحمد بن دؤاد قاضي القضاة ثم يتوفى المعتصم ويتبعه ابنه الواثق وتصير الخلافة الى المتوكل، قال المرزباني: " وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن عبد الملك خاصا به وكان منحرفا عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة بين أحمد ومحمد ولمّا قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له: لم هربت ؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين، إذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد وادخاله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب فيه فعذِّب هو فيه حتى مات، يعني محمد بن الزيات " (الحموي: ٧٦/١٦) .

ويقرب المتوكل في هذه الأثناء ابن أبي دؤاد ويرسل في طلب الجاحظ ويأتونه به مقيدا، فقال ابن أبي دؤاد: " ما تأويل هذه الآية **(وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)**(هود ١٠٢) فقال الجاحظ تلاوتها تأويلها أعز الله القاضي . فقال: جيئوا بحداد، فقال: أعز الله القاضي ليفك عني أو ليزيدني ؟ فقال: بل ليفك عنك . فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف ساق الجاحظ ويطيل أمره قليلا، ففعل فلطمه الجاحظ، فقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فان الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساحة، فضحك ابن

أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دؤاد: أنا أثق بظرفه ولا أثــق بدينــه " (البغــدادي: ١٩٣١، ٢١٨/١٢) .

ثم تتوثق صلة الجاحظ بالفتح بن خاقــان وزيــر المتوكل وقام باهداء عدد من مؤلفاتها الــى الــوزراء حيث أهدى كتاب الحيوان الى ابن الزيــات وأعطــاه مقابل ذلك خمسة الاف دينار، وكذلك قام باهداء كتابه البيان والتبيين الى ابن دؤاد (ضيف:٥٩١)

لقد كان الجاحظ مطبوعا على الظــرف والفكاهــة وميّالا الى التفاؤل وكان واقعيا حريصا على الوقــت، حلو الحديث، سريع الجواب والنكتة، ســاخرا يحــب اللهو.

وكان علاّمة عصره وله آثار كثيرة في الفلســفة والدين والسياسة والاقتصاد ووالتــاريخ والجغرافيــة والطبيعيات وما الى ذلك .

فمن تصانيفه الكثيرة الحيوان والبيــان والتبيــين والطبائع والبخلاء ورسالة التربيع والتدوير وغيرهــا (الفاخوري: ٥٥٧) . .

حدّث المبرد، قال: دخلت على الجاحظ في آخــر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حزَّ بالمناشير ما شعر به، ونصــفه الآخــر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه . وأشد مــن ذلــك ست وتسعون سنة أنا فيها، ثم أنشدنا:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيــام الــشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثــوب دريس كالجديد من الثياب

وحدّث يموت بن المزرع، قال: دخل الى خــالي أناس من البصرة في العلة التي مات فيها، فسألوه عن حاله، فقال:

عــلــيــــل مـــــن مــكــانــيــــــن مـــــــن الأســقـــام والــديـــن

ثم قال: أنا في هذه العلل المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وتسعون سنة يعني عمره . قال يموت بن مزارع: وكان يطلي نصــفه الأيمــن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لــو قرض بالمقاريض ما شعر به من خــدره وبــرده " (الحاجري: ١٩٦٢، ٤٤٦).

اذن كان الجاحظ يعاني من مرضين هما الفالج وهو الشلل النصفي في شقه الأيسر والنقرس (الروماتزم) في شقه الأيمن .

ووجه اليه المتوكل في سنة ٢٤٧هــ شخصا يحمله فقال: " وما يصنع أمير المؤمنين بامرئ ليس بطائل، ذي شقّ مائل، ولعاب سائل، وعقل حائل ؟" (ضيف: ٥٩١).

توفي الجاحظ الذي يعدّ أكبر كاتب ظهر في العصر العباسي بسقوط مجلدات العلم عليه ســنة ٢٥٥ هـــ (الحنبلي: ١٢١/٢) .

٤.المبحث الثالث: أقوال الجاحظ على الكتاب المنسوب الى سيبويه في كتب السير والتراجم

وردت في كتب السير والتراجم أقوال نسبت للجاحظ عن الكتاب يبين فيها أهمية الكتاب ونسبته الى سيبويه وهذه الأقوال هي:

القول الأول:

جاء في معجم الأدباء ما يلي: " حدّث محمد بن عبد الملك التاريخي فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال: حدثني الأخفش أنّه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جمعة فوهب له سبعين دينارا .

قال: وكان الكسائي يقول لي: هذا الحرف لم أسمعه فاكتبه لي فأفعل، قال: وكان الأخفش يؤدب ولد الكسائي .

قال التاريخي: فكأنّ الجاحظ سمع هذا الخبر، فقال ممّا يعدّده من فخر أهل البصرة على أهل الكوفة: وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله " (الحموي: ١٢٢/١٦) .

إن هذه الرواية لا يمكن التسليم بها حيث أنه لا يعقل أن كتابا مثل ضخامة الكتاب أن يتم قراءته في جمعة وكذلك أن رد الجاحظ على هذه القصة لا تؤكد أن الجاحظ قد سمع بها فهو يقول (كأنّ)، والجاحظ نفسه في كتابه الحيوان في الجزء السابع لا يميل الى التعصب ويؤمن بأنه لكل صنف من العلماء من يؤيده في مذهبه وينصره حيث أنه يقول " ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة، ومكة على المدينة، والشام على الجزيرة، ولا في تفضيل العجم على العرب، وعدنان على قحطان، وعمرو على واصل، فيرد بذلك الهذيلي على النظامي، ولا هو في تفضيل مالك على أبي حنيفة، ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النابغة، وعامر بن الطفيل على عمرو بن معد يكرب، وعباد بن الحصين على عبيد الله بن الحر، ولا في تفضيل ابن سريج على الغريض، ولا في تفضيل سيبويه على الكسائي، ولا في تفضيل الجعفريّ على العقيليّ، ولا في تفضيل حلم الأحنف على حلم معاوية، وتفضيل قتادة على الزّهري فإن لكلّ صنف من هذه الأصناف شيعة، ولكلّ رجل من هؤلاء الرجال جندا وعددا يخاصمون عنهم وسقاؤهم المتسرعون منهم كثير وعلماؤهم قليل وأنصاف علمائهم أقل " (الجاحظ: ١٩٣٨، ٦/٧).

فيدل قوله هذا الى عدم التعصب لمذهب معين .

القول الثاني:

هو ما جاء في أنباه الرواة للقفطي يقول: " ذكر الجاحظ كتاب سيبويه لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال " (القفطي: ١٩٥٢، ٣٤٦/٢).

هذا القول لا يؤيد نسبة الكتاب الى سيبويه وإنما هو يبين أهمية الكتاب حيث أنه يعتبر أعظم ما وصل اليه العلماء في علم النحو، فهو جمع جهود العلماء السابقين

الذين كانوا من البارزين في علوم النحو من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويؤيد هذا القول ما جاء في كتاب الفهرست في قوله: " قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون انسانا منهم سيبويه والأصول والمسائل للخليل " (ابن النديم:١٩٧١، ١٤٥)

القول الثالث:

جاء في وفيات الأعيان ما يلي: " قال الجاحظ: أردت الخروج الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت اليه قلت له: لم أجد شيئا أهديه لك مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت لي شيئا أحب اليّ منه .

ورأيت في بعض التواريخ أن الجاحظ لما وصل الى ابن الزيات بكتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره، فقال له ابن الزيات: أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ يعني نفسه، فقال ابن الزيات: هذه أجلّ نسخة توجد وأعزها فأحضرها اليه فسُرّ بها ووقعت منه أجمل موقع " (ابن خلكان: ١٩٧٧، ٤٦٣/٣) .

قد يكون في هذه القصة ما يدل بوضوح على نسبة الكتاب الى سيبويه وفي نفس الوقت تدل على أهمية الكتاب، وقد لا يكون المقصود من كتاب سيبويه هو نسبته الى سيبويه وإنما قد يقصد أن اسم الكتاب هو كتاب سيبويه أي لا يقصد نسبته الى سيبويه، وكما ذكرنا سابقا أنه تدل كلمة (سي) بمعنى ثلاثين و (بوي) بمعنى رائحة، أي أنه لما يحتويه هذا الكتاب من العلوم المختلفة من نحو وصرف وغير ذلك من العلوم الأخرى، فسميّ بهذا الاسم، أي ذو الثلاثين رائحة نتيجة لتنوع ما يحتويه من العلوم المختلفة .

إن ما تقدم من أقوال الجاحظ عن الكتاب لم أجدها بعد بحثي في كتب الجاحظ وهي الحيوان، والبيان والتبيين، وأمل الآمال، والبخلاء، والتاج في أخلاق الملوك وتهذيب الأخلاق، وثلاث رسائل، والحنين الى الأوطان، والقول في البغال، والمحاسن والأضداد، ومجموعة رسائل، ومفاخرة الجواري والنعمان، ونوادر الجاحظ .

مما يدل على أن هذه الأقوال قد تكون منسوبة للجاحظ حيث أنه ليس من المعقول أن لا يتم ذكر الكتاب في كتب الجاحظ الكثيرة .

ومع ذلك لا يمكن الجزم بهذه المسألة .

أقوال الجاحظ على الكتاب المنسوب الى سيبويه في كتبه:

أثناء بحثي عن أقوال الجاحظ عن الكتاب في كتب الجاحظ وجدت اشارة الى (الكتاب) في كتابه المعروف باسم (البيان والتبيين) يقول عنه: " ومرّ

رجل من قريش بفتى من ولد عتّاب بن أسيد (هو عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، أسلم عتاب يوم فتح مكة، ولما خرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفي هو وأبو بكر في وقت واحد .ينظر: الذهبي: ١٩٨٥، ٢٢٣/٢) وهو يقرأ كتاب سيبويه، فقال: افّ لكم، علم المؤدبين وهمّة المحتاجين " (الجاحظ: ١٩٨٥، ٤٠٢/١) .

هذه الحادثة لا تؤكد نسبة الكتاب الى سيبويه فربما كان اسم الكتاب هو كتاب سيبويه وليس يقصد من نسبته الى سيبويه، أي قد يريد به كتابا بهذا الاسم .

وتدل هذه الحادثة على أنه كان العلم والدرس شيئا يرتفع السادة الفاتحون عنه، وإنما تلك سبيل الموالي يلتمسون فيها الكسب وأسباب العيش ولهذا كان الطريق خاليا لأبناء هذه الطبقة الدنيا .

هذه هي الاشارة الوحيدة لكتاب سيبويه في كتب الجاحظ التي اطلعت عليها .

ومع ذلك فإن الجاحظ لا بد أنه كان يعرف مؤلف الكتاب الحقيقي حيث أنه عاش الى سنة ٢٥٥ هـ، وقد كان كتاب سيبويه قد ظهر قبل هذا الوقت .

٥.الخاتمة

من خلال هذه الدراسة الموجزة توصلت الى النتائج التالية:

١- لا يمكن أن ننكر أهمية الكتاب وما احتواه من موضوعات نحوية وصرفية مهمة، وهو يعتبر أول كتاب وصل الينا جمع هذه الموضوعات جمعا وافيا،ولا يزال الكتاب المصدر الرئيسي لدارسي هذه الموضوعات .

٢- لا يمكن الجزم في نسبة الكتاب الى سيبويه حيث من خلال هذا البحث في أقوال الجاحظ على الكتاب لا توجد إشارة أكيدة في كتب الجاحظ تؤيد نسبة الكتاب الى سيبويه وليس من المنطقي أن لا يتم ذكر الكتاب من قبل الجاحظ الذي شهد زمن ظهور الكتاب حيث أنه توفي سنة ٢٥٥ هـ، أي أن الجاحظ قد شهد جميع الأحداث التي رافقت ظهور هذا الكتاب .

٣- إن ما موجود من أقوال للجاحظ في كتب السير والتراجم على الكتاب لا يمكن التصديق بها حيث أنها قد تكون منسوبة الى الجاحظ فليس من المنطقي أن لا يتم ذكر هذه الأقوال في مؤلفاته الكثيرة .

نسأل الله التوفيق الى ما يحبه ويرضاه

المصادر والمراجع

١- ابن خلكان، أبو العباس (ت ٦٨١ هـ)، تحـ: احسان عباس، ١٩٧٧، وفيات الأعيان وأنباه أبناء الزمان، بيروت .

٢- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق بن محمد بن اسحق الوراق (ت٣٨٠ هـ)، تحـ: رضا تجدّد ، ١٩٧١ الفهرست .

٣- الأنباري، أبو البركات محمد بن (ت ٥٧٧ هـ)، ١٩٥٩، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحـ: د. ابراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف.

٤- البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ)،١٩٣١، تاريخ بغداد،، مصر، مطبعة السعادة .

٥- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الشهير (ت٢٥٥ هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون،١٩٨٥، البيان والتبيين، مصر، مطبعة المدني، ط ٥ .

٦- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الشهير(ت٢٥٥ هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، ١٩٣٨، الحيوان، مصر مطبعة البابي الحلبي، ط ١.

٧- الحاجري، طه، ١٩٦٢، الجاحظ حياته وآثاره، مصر، دار المعارف.

٨- حجازي، د. محمود فهمي، علم اللغة العربية،، دار الثقافة .

٩- الحديثي، خديجة، ١٩٦٥، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، بغداد، مكتبة النهضة، ط ٥ .

١٠- الحديثي، د. خديجة، ١٩٨٦، المدارس النحوية، مطبعة جامعة بغداد .

١١- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق .

١٢- الحنبلي، أبو الفلاح الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحـ: حسين أسد،١٩٨٥،سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٣ .

١٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت١٨٠ هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، الكتاب، القاهرة، مطابع دار القلم.

١٥- السيرافي، أبو سعيد (ت ٣٦٨ هـ)، تح: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم الخفاجي، ١٩٥٥، أخبار النحويين البصريين،، مصر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط ١، .

١٦- ضيف، شوقي،العصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني، دار،المعارف، ط ٨.

١٧- العاني، د. سامي مكي و العدواني عبد الوهاب علي العدواني، ١٩٧٩، المكتبة .

١٨- الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية.

١٩- القفطي، جمال الدين (ت ٦٢٤ هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٥٢، أنباه الرواة على أنباه النحاة، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية،

٢٠- كحالة، عمر رضا ، ١٩٥٩، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي .

٢١- المسعودي، أبو الحسن (ت ٣٢٦ هـ)، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٦٥، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مكتبة السعادة، مصر، ط٤.

٢٢- ناصف، علي النجدي ، ١٩٥٣، سيبويه امام النحاة،، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي.

Sources and References

1- Ibn Khallikan, Abu al-Abbas (d. 681 AH), ed. Ihsan Abbas, 1977, Wafayat al-A'yan wa Anbah Abna' al-Zaman, Beirut.

2- Ibn al-Nadim, Abu al-Faraj Muhammad ibn Abi Ya'qub Ishaq ibn Muhammad ibn Ishaq al-Warraq (d. 380 AH), ed. Rida Tajaddud, 1971, Al-Fihrist.

3- Al-Anbari, Abu al-Barakat Muhammad ibn (d. 577 AH), 1959, Nuzhat al-Alba' fi Tabaqat al-Udaba', ed. Dr. Ibrahim al-Samarrai, Baghdad, Matba'at al-Ma'arif.

4- Al-Baghdadi, al-Hafiz Abu Bakr Ahmad ibn Ali al-Khatib (d. 463 AH), 1931, Tarikh Baghdad, Egypt, Matba'at al-Sa'adah.

5- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr ibn Mahbub, Abu Uthman the famous (d. 255 AH), ed. Abd al-Salam Muhammad Harun, 1985, Al-Bayan wa al-Tabyeen, Egypt, Al-Madani Press, 5th ed.

6- Al-Jahiz, Amr ibn Bahr ibn Mahbub, Abu Uthman al-Shahir (d. 255 AH), ed. Abd al-Salam Muhammad Harun, 1938, Al-Hayawan, Egypt, Al-Babi al-Halabi Press, 1st ed.

7- Al-Hajiri, Taha, 1962, Al-Jahiz: His Life and Works, Egypt, Dar al-Ma'arif.

8- Hijazi, Dr. Mahmoud Fahmi, The Science of the Arabic Language, Dar al-Thaqafa.

9- Al-Hadithi, Khadija, 1965, Morphological Structures in Sibawayh's Book, Baghdad, Al-Nahda Library, 5th ed.

10- Al-Hadithi, Dr. Khadija, 1986, Grammatical Schools, Baghdad University Press.

11- Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abd Allah Yaqut ibn Abd Allah al-Rumi al-Hamawi (d. 626 AH), Mu'jam al-Udaba', Beirut, Dar al-Mustashriq. 12- Al-Hanbali, Abu al-Falah al-Hanbali (d. 1089 AH), Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

13- Al-Dhahabi, Shams al-Din, Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman al-Dhahabi (d. 748 AH), ed. Husayn Asad, 1985, Siyar A'lam al-Nubala', Al-Risalah Foundation, 3rd ed.

14- Sibawayh, Abu Bishr Amr ibn Qanbar (d. 180 AH), ed. Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Kitab, Cairo, Dar al-Qalam Press.

15- Al-Sirafi, Abu Sa'id (d. 368 AH), ed. Taha Muhammad al-Zayni and Muhammad Abd al-Mun'im al-Khafaji, 1955, Akhbar al-Nahwiyyin al-Basriyyin, Egypt, Al-Babi al-Halabi & Sons Press, 1st ed.

16- Dayf, Shawqi, Al-'Asr al-'Abbasi al-Awwal wa al-'Asr al-'Abbasi al-Thani, Dar al-Ma'arif, 8th ed.

17- Al-'Ani, Dr. Sami Makki and Al-'Adwani Abd al-Wahhab Ali al-'Adwani, 1979, Al-Maktabah.

18- Al-Fakhoury, Hanna, *History of Arabic Literature*, Police Press.

19- Al-Qifti, Jamal al-Din (d. 624 AH), ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 1952, *The Narrators' Accounts of the Grammarians' Accounts*, Cairo, Egyptian National Library Press.

20- Kahhala, Omar Rida, 1959, *Dictionary of Authors*, Damascus, Progress Press.

21- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan (d. 326 AH), ed. Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, 1965, *Meadows of Gold and Mines of Gems*, Al-Sa'ada Library, Egypt, 4th ed.

22- Nasif, Ali al-Najdi, 1953, *Sibawayh: Imam of the Grammarians*, Cairo, Arab Statement Committee Press.